

خفايا نهج ابن سلمان وتكريس ديكتاتورية التضليل

سلطت مجلة فورين بوليسي الأميركية، خفايا نهج ولي العهد محمد بن سلمان في الحكم وتعمره تكريس ديكتاتورية التضليل عبر ما يروج له من مشاريع وهمية يبدد من خلالها مقدرات المملكة وثروات شعبها.

وأبرزت المجلة رهان محمد بن سلمان منذ سنوات على مدينة ليست تقليدية، إذ اكتسبت "ذالين" مكانة راسخة في المخيلة العالمية بالرغم أنه من غير الواضح ما إذا كان سيتم بناء هذا الهيكل الضخم المستقبلي في الصحراء، أم لا.

وأشارت المجلة إلى أنه يعد إعادة تشكيل الامة السعودية طموحًا كبيرًا حقًا بالنسبة للبعض؛ اما بالنسبة للآخرين، فهو جهد مجنون يسعى إلى صرف الانتباه عن واقع الاستبداد الوحشي في المملكة.

وتكشف مدينة "ذالين" عن استراتيجيات مختلفة للغاية بشأن كيفية محاولة الأنظمة الاستبدادية تعزيز الشرعية في القرن الحادي والعشرين بحسب المجلة.

وقالت "لا يكتفي محمد بن سلمان بالترويج لنوع من خيال الخيال العلمي فحسب، بل يغازل بذكاء المشاعر العالمية، وحتى الثقافية المضادة، في سعيه لإعادة صياغة نظامه في الداخل والخارج".

وأضافت "يبدو أن محمد بن سلمان، المروج الرئيسي لـ لاين، يعرف أنه في حاجة ماسة إلى علاقات عامة أفضل".

فعلى المستوى الدولي، يظل اسمه مرتبطا باسم جمال خاشقجي، الصحفي والمعارض الذي قُتل وتقطعت أوصاله في القنصلية السعودية في إسطنبول عام 2018.

ولتغيير صورة المملكة، ذهب محمد بن سلمان إلى ما هو أبعد من الوعود التقليدية بالتحديث من أعلى إلى أسفل، ولهذا تشمل خطته للإصلاح الاقتصادي، "رؤية 2030"، مشاريع تتراوح بين السياحة الفاخرة والاستثمارات في الطاقة الخضراء والرياضة.

تتطلب هذه التغييرات حث السعوديين على اكتساب مهارات جديدة - وهو أحد الأسباب التي تجعل النظام يستورد العمالة الغربية لبناء صناعة السينما، على سبيل المثال - وجلب المزيد من الشباب إلى القوى العاملة.

والنقطة هنا لا تتعلق بالعلامة التجارية للدولة فقط، بل وأيضاً ببناء الدولة، حيث من المفترض أن تلهم المشاريع العملاقة الفخر المحلي.

وأكثر هذه المشاريع إثارة للدهشة ذ لاين، وهي مدينة خطية من المتوقع أن يبلغ طولها 106 أميال، مع ناطحات سحاب متوازية يبلغ ارتفاعها 1640 قدماً وعرضها 656 قدماً، وهي جزء من خطة بقيمة نصف ترليون دولار لتطوير "نيوم"، وهي منطقة جديدة تقع شمال غرب البلاد.

وخلافاً للمدن التقليدية المترامية الأطراف، يتم الترويج لمشروع "ذا لاين" باعتباره صديقاً للبيئة: فمن المفترض أن يكون لممره الطويل، مع المرايا التي تواجه الصحراء، تأثير ضئيل على البيئة المحيطة؛ ولن تكون هناك سيارات - وفي الواقع، لن تكون هناك انبعاثات كربونية على الإطلاق - ولكن سيكون هناك قطار فائق السرعة تحت الأرض يسير تحت المدينة بأكملها كبديل عن كل ذلك.

ووفقاً لمعرض سعودي في أبا زيا دي سان جريجوريو في البندقية في عام 2023، فإن ذ لاين سيوفر "مجالاً

عاماً في كل مكان"، على الأرجح كجزء مما يروج له محمد بن سلمان على أنه "تعزيز قابلية العيش البشري".

وتضمن المعرض عالي التقنية، الذي يحمل عنوان "العمران انعدام الجاذبية"، مقترحات مهندسين معماريين مشهورين للبنية الضخمة، من ديفيد أدجاي إلى الشركة النمساوية التي صممت البنك المركزي الأوروبي في فرانكفورت.

لا يعد مشروع د لاين بتحقيق مدينة خطية في النهاية فحسب، بل يلتقط الأفكار التي طورتها المجموعات المعمارية التجريبية Archigram و Superstudio في الستينيات، وكلاهما كانا معروفين بتصميماتهما الرائدة، مثل "مدينة المشي" للأولى، وهي عبارة عن هيكل على أرجل معدنية عملاقة يمكن أن تتحرك بحرية حول الأرض، و"النصب التذكاري المستمر" للأخيرة، وهو هيكل خطي في الصحراء ومناظر طبيعية أخرى. والذي يعتبر بمثابة التنبؤ بقيام مشروع د لاين مستقبلاً.

ومع ذلك، لم ترسم شركتا آر تشي جرام وسوبرستوديو مخططات ليلتقطها المستثمرون أو المستبدون المهتمون بما أطلق عليه المنظر الحضري مايك ديفيس ذات مرة، فيما يتعلق بدبي، "التمدن المتخيل".

لقد كانت نواياهم تخريبية بالتأكيد. كانت هذه الشركات تنتقد الرأسمالية الاستهلاكية، فقد شكك تصميم "النصب التذكاري المستمر" في التحضر الشامل للعالم الذي من شأنه أن يدمر الطبيعة.

وقال ادولفو ناتاليني المؤسس المشارك لشركة سوبرستوديو في عام 1971 "إذا كان التصميم مجرد حافز للاستهلاك، فيجب علينا أن نرفض التصميم" مضيفاً "إذا كانت الهندسة المعمارية مجرد تدوين للنماذج البرجوازية للملكية والمجتمع، فيجب علينا أن نرفض الهندسة المعمارية".

لقد وضعت سوبرستوديو نفسها على أنها مناهضة للتصميم ومعادية للهندسة المعمارية باسم مناهضة النزعة الاستهلاكية ومناهضة الرأسمالية.

ومع ذلك، هناك استمرارية مدهشة بين الحركات الثقافية المضادة في الستينيات ومشروع د لاين، فأحد المهندسين المعماريين المشاركين في مشروع نيوم هو بيتر كوك، المؤسس البريطاني لشركة آر تشي جرام.

ادعت كتب طاولة القهوة التي تم إنتاجها ببذخ عن مشروع د لاين والمتوفرة في معرض البندقية أن مصدر

إلهام المدينة لم يكن سوى موسيقى البانك؛ من خلال الأصوات والإيماءات العدوانية المناهضة للمؤسسات القائمة، دلت موسيقى البانك على أقصى قدر من الاضطراب في الموسيقى.

ويعتقد مبتكرو ذ لاین، انه من خلال التخلص من شيء أساسي في كل مدينة مثل الشارع، فانهم يعطلون الفهم التقليدي للمدينة إلى أقصى حد.

وأشارت الكتب إلى أن سكان ذ لاین سيكونون في الغالب من المبدعين من الخارج، ويزعم أحد الكتب أن المشروع يسعى إلى جذب "المفكرين الأحرار" إلى "مساحته الحضرية المفتوحة الخالية من الهموم".

ليس من الواضح مقدار العمل الذي تم إنجازه بالفعل على ذ لاین، وكذلك عما إذا كان المشروع سيتحقق كما هو مخطط له أم أنه سيظل كما أطلق عليه الصحفي جرايم وود عبارة عن "عبادة البضائع الحضرية".

يبدو أن محمد بن سلمان يراهن تمامًا مثل أي رأسمالي مغامر، على إبداعات مذهلة مختلفة؛ قد ينجح بعضها، والبعض الآخر لا.

فقد انتشرت في ابريل تقارير تفيد بأن الهيكل الضخم قد لا يكون ضخمًا بعد الآن أو على الأقل ليس في أي وقت قريب، وبدلاً من استهداف 1.5 مليون نسمة بحلول عام 2030، أصبح الهدف الآن 300 ألف نسمة، وتم تقليص طول الخط إلى ميل ونصف.

ولا يخلو المشروع من الانتقادات، ولا تزال هناك تساؤلات جدية بشأن جدواه، حيث لا يوجد حتى الان قطار يمكنه السفر بالسرعة التي تقترحها مواد العلاقات العامة المنتشرة بشأن ذ لاین، ومن غير الواضح كيف سيضمن المهندسون المعماريون في المدينة السلامة من الحرائق، وكيف ستجول سيارات الإسعاف بدون شوارع.

كما تشير الدراسات إلى أن المدينة الدائرية وليست الخطية هي أفضل للبيئة، كما يبدو أنه لم يتم التفكير مليًا فيما يتعلق بالطيور التي يمكن أن تطير إلى جدران المرآة العملاقة، أو الحياة البرية التي لم تعد قادرة على عبور الصحراء، أو الأشخاص الذين يعيشون هناك بالفعل وعددهم يصل إلى عشرين ألفًا من سكان المنطقة الحاليين، من بينهم أعضاء قبيلة الحويطات، التي يمكن أن يتم تهجيرها.

ومع ذلك، فإن النظام الذي تديره عائلة ملكية أصولية أصبح يستولي على أفكار طليعية لإعادة تصوير

نفسه - ليس فقط على أنه "حديث" - ولكن على أنه عصري وحر بشكل واضح.

وبهذا المعنى، فالتجربة السعودية قابلة للمقارنة بالتجارب الفنية في الاتحاد السوفييتي المبكر، قبل أن يختار جوزيف ستالين النهج التقليدي في الفن والهندسة المعمارية.

سيكون من الخطأ استبعاد كل ما يحدث في السعودية باعتباره علاقات عامة أو افتراض أن كل ما هو علاقات عامة هو بالضرورة فعال؛ فحتى المقالات التي تربط محمد بن سلمان بـ "السايبانك" أو "الجزيرة العربية الرائعة" تحتوي على اسم خاشقجي اليوم.

الدرس الحقيقي هو أن الأنظمة الاستبدادية ذات النمط الجديد تحتاج إلى السرد والتلفيق، وكلما كان المشروع خياليًا، زادت إمكانية أن تكون القصص مغرية، وسوف يفهم الحكام الآخرون هذه النقطة، وسوف يتحدثون — بل وربما يبنون ذات يوم — وفقا لذلك.